الامام الشافعي ومنهجه في اثبات العقيدة الوسط

د. سعد احمد علوان

كلية التربية للبنات

مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلن تجد له وليًّا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.اما بعد :فإن بيان اعتقاد أئمة المسلمين من اهم المهمات التي ينبغي بيانها في هذه الازمنة التي خيّم فيها الجهل وغربة الدين وعظم فيها تسلط اعداء الامة الظالمين , فلا مخرج من هذا الحال إلا بالعودة الصادقة الى ما كان عليه رسول الله ﷺ واصحابه قولا واعتقادا وعملا .وإنَّ من فضل الله – تعالى – على أمَّة محمد ﷺ أنْ يَبعَثَ فيها مَن يُجدِّد لها دِينها ويحيي سنَّة نبيها، ويُعِيد الناس إلى الحق والصواب بدلاً من الانحراف عن السنة والكتاب .ولقد قيَّض الله لهذه الأمَّة كثيرًا من المُصلِحين والمجدِّدين الذين كان لهم أثَرٌ قويٌّ – بعدَ توفيق الله تعالى – في إحياء السنة ، ومحاربة الباطل وأهله. وإنَّ من أولئك المصلحين المجدِّدين، والذي أخَذ على عاتقه نشْر العقيدة الصحيحة الوسط، ورد الناس إلى الجادَّة انه الامام الشافعي عليه رحمة الله .

المطلب الاول حياة الامام الشافعي

اسمه: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ويجتمع مع النبي ﷺ في عبد مناف بن قصي.[1]

نسبه: ينسب إلى الصحابي شافع بن السائب[2]ﷺ**كنيته:** أبو عبد الله الشافعي [3]**لقبه:** ولقبه أهل بغداد بناصر الحديث وهو نقل هذا القول فقال: "سميت ببغداد ناصر الحديث".[4]**ولادته ووفاته:** ولد سنة خمسين ومائة من الهجرة في غزة وهو العام الذي توفى فيه أبو حنيفة.[5] وهذا ما نقله عن الأصفهاني في حلية الأولياء قال الشافعي: ولدت بغزة سنة خمسين ومائة وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين[6] وتوفي سنة ٢٤٠هـ[7]**طلبه للعلم:**عاش الإمام الشافعي يتيماً فقيراً لكن هذا لم يمنعه من طلب العلم فكان طلب العلم له بمثابة البعد عن الأم الرحيمة فكانت أمه تسكن غزة فنقلته إلى بلاد الحجاز فحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنوات وحفظ موطأ الإمام مالك وهو ابن عشر سنوات وبعدها أخذ يتتبع أماكن العلماء ويأخذ منهم العلم ويدونه، كما نقل عنه ابن حجر قوله :"كنت يتيماً في حجر أمي ولم يكن معها ما تعطي المعلم وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة وكانت دارنا في شعب الخيف فكنت أكتب في العظم فإذا كثر طرحته في جرة عظيمة [8]وبعدها أحب الشعر واللغة فأخذ يبحث عنها حتى يتعلمها ونقل البيهقي عن الشافعي في بداية حياته أنه كان يبحث عن تعلم شعر هذيل ويطلب أيام الناس والأدب[9] ولكن الإمام الزبيري[10] لم يستحب له أن يتعلم اللغة حين رأى ما به من سرعة الحفظ والبراعة في العلم فأشار عليه بأن يتعلم الفقه فقال له: إنما الشعر مروءة الفتيان عليك بالفقه ، فتركه وأخذ بالفقه[11] وكان من أحد الأئمة في علم الفقه وأصبح له مذهب يؤخذ به حتى الآن وهو يدرس في كل الدنيا.

مؤلفاته : كان رحمه الله موسوعة فتح الله عليه بالحفظ السريع والفهم وهي على النحو التالي :

١- كتاب الرسالة وهو مذهبه القديم والجديد ولكن ألف كل منهم على
٢- كتاب اختلاف الأحاديث
٣- كتاب جماع العلم
٤- كتاب إبطال الاستحسان
٥- كتاب أحكام القرآن
٦- كتاب بيان فرض الله . ﷻ
٧- كتاب صفة الأمر والنهي
٨- كتاب اختلاف العراقيين
٩- كتاب الرد على محمد بين الحسن.
١٠- كتاب اختلاف مالك والشافعي وغيرها كثير لا يتسع المقام لذكرها.[12]

ثناء العلماء عليه: لو أردنا أن نعدد أقوال العلماء في الثناء على الشافعي لوجدنا أن العلماء من بعده كلهم عيالٌ عليه ولكن هذا غيظ من فيض في ذكره، فقال الصدفي[13]: "ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة،ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي ثم قال لي يا أبا موسى لا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة"[14] ويقول الميموني[15] سمعت أحمد بن حنبل يقول ستة ادّعوا لهم سحرا أحدهم

الشافعي[16] وهذا يدل على مكانة الشافعي عند إمام أهل السنة .قال عبد الله بن أحمد بن حنبل قال قلت لأبي يا أبه أي رجل كان الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له فقال لي يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف أو منهما عوض. [17]قال أحمد بن حنبل: إن الله تعالى يقيض للناس في كل رأس مائة سنة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المئتين الشافعي.[18] , قال قتيبة بن سعيد: الشافعي إمام.[19] وهذا جزء قليل من ثناء العلماء عليه لكن البحث لا يتسع لذكر أقوال العلماء.

شيوخ الامام الشافعي: أخذ الشافعي العلم عن نخبة من العلماء ومن شتى الأمصار وسوف اختصر بذكرهم ويتضح لنا ذلك فيما يلي:

من مكة المكرمة : أخذ العلم ببلده عن مسلم بن خالد الزنجي[20] مفتي مكة وداود ابن عبد الرحمن العطار[21] وسفيان بن عيينة. [22] وتتلمذ أيضاً الإمام الشافعي على يد جعفر الصادق[23], ويقول الربيع سمعت الحميدي سمعت مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة يقول للشافعي أفت يا أبا عبدالله فقد والله آن لك أن تفتي. [24]من المدينة المنورة: أخذ الشافعي العلم عن الإمام مالك بن أنس مؤسس المذهب المالكي[25] , واخذ من ابراهيم بن سعيد بن عبد الرحمن بن عوف ومحمد بن اسماعيل بن ابي فديك.وقرأ الشافعي القرآن على شبل واخبر شبل انه قرأ على عبد الله بن كثير وقرأ على مجاهد وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس.[26]من العراق: أخذ الشافعي العلم عن أصحاب الإمام أبي حنيفة وعلى رأسهم محمد بن الحسن.[27]وكان مذهب الإمام مالك هو مذهب أهل الحديث والإمام أبو حنيفة رضي الله عنهما منهجه هو منهج أهل الرأي والاستحسان, لذلك فللإمام الشافعي مذهبان : **المذهب القديم:** وهو مذهب أهل الحديث.

المذهب الجديد : وهو مذهب أهل الحديث وأهل الرأي وسوف يمر معنا ذلك إن شاء الله.يُروى أنه كان يلتقط العظام العريضة فيكتب عليها أو يذهب إلى الديوان فيجمع الأوراق المهملة التي يلقى بها فيستوهبها ويكتب على ظهرها.[28] هذه المعاناة وفقته إلى أن يعتمد على الحفظ فتكوَّنت لديه حافظة قوية ساعدته مستقبلاً على حفظ كل ما يسمع وما يُلقى إليه من علم ومعرفة. وهنا لا بدّ لنا من التعليق بسيط على هذه القصة والحكمة: إنّ فقر الشافعي وعدم توفر له سبل العيش وعدم وجود ما يكفيه لشراء الورق للكتابة , قد ولدت قوة الحفظ وجعلته يعتمد على الحفظ أكثر من التدوين . و يجب على المسلم دوماً أن يتذكر قوله تعالى ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة ٢١٦.فأحياناً يكون الفقر والظلم كما في حديث (ما الفقر اخشى عليكم) [29]يعني لا اخشى عليكم من الفقر لان الفقر في الغالب اقرب الى الحق من الغنى والناظر الى الرسل عليهم السلام يجد اكثر اتباعهم الفقراء , والذي قد يتعرض له المسلم هو خير له , فالله عزّ وجلّ يعلم ونحن لا نعلم وخالقنا أعلم بنا. فالمسلم الحق يدرك دوماً أنّ الله عزّ وجل يختار له الأفضل, فكثير من الزوجات يقلن لو كان زوجي كذا وكذا لكان أفضل ! وهنّ لا يعلمن أين الخير ولا يعلمن أو لا يدركن أنّ الله رحيم بعباده.

المطلب الثاني عقيدة الإمام الشافعي ومصادر التلقي

اولا : عقيدته :إنّ دين محمد ﷺ دين عزيز ودين القول والفعل , فلا نقبل أن نتعلم العلم الشرعي الصحيح إلا ممن صحت عقيدته , وحسن عمله فالله عزّ وجل يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف ٢-٣ , فمن الذنوب العظيمة أن يقول الإنسان مالا يفعل , أو أن يبتغي بعلمه غير الله أعاذنا وإياكم من ذلك , ويقول أحد التابعين[30]: "كانَ يُقالُ العُلَماءُ ثلاثَةٌ عالِمٌ باللَّهِ يخشى اللَّهَ ليسَ بعالِمٍ بأمرِ اللَّهِ، وعالِمٌ باللَّهِ عالِمٌ بأَمْرِ اللَّهِ يَخْشَى اللَّهَ فذاكَ العالِمُ الكامِلُ، وعالِمٌ بأمرِ اللَّهِ ليس بعالِمٍ باللَّهِ لا يخشى اللَّهَ فذلِكَ العالِمُ الفاجِرُ. [31]وكانت عقيدته رحمه الله اتباع الكتاب والسنة ولم يشذ عن هذا المذهب فكان رحمه الله إذا أراد أن يتكلم في أي مسألة من مسائل العقيدة كانت أصوله التي يرجع إليها هي: القرآن الكريم فإن لم يجد عليها دليل ذهب إلى سنة النبيﷺ فإن لم يجد كان يذهب إلى رأي الصحابة المتفق عليه لكن إذا كان هناك خلاف في مسألة من المسائل كان يجتهد برأيه بعيداً عن عقول أهل الأهواء والبدع؛ لأنه كان دائماً حريصاً على إتباع كتاب ربهﷻ وسنة نبيهﷺ ولذلك حين تكلم عن عقيدته في كتابه الرسالة قال: "وَكُلُّ ما وَصَفْت مع ما أنا ذَاكِرٌ وَسَاكِتٌ عنه اكْتِفَاءً بِمَا ذَكَرْت منه عَمَّا لم أَذْكُرْ من حُكْمِ اللَّهِ ثُمَّ حُكْمِ رَسُولِهِ ﷺ ثُمَّ حُكْمِ الْمُسْلِمِينَ دَلِيلٌ على أَنْ لَا يَجُوزَ لِمَنْ اسْتَأْهَلَ أَنْ يَكُونَ حَاكِمًا أو مُفْتِيًا أَنْ يَحْكُمَ وَلَا أَنْ يفتى إلَّا من جِهَةِ خَبَرٍ لَازِمٍ وَذَلِكَ الْكِتَابُ ثُمَّ السُّنَّةُ أو ما قَالَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ لَا يَخْتَلِفُونَ فيه أو قِيَاسٌ على بَعْضِ هذا ولا يَجُوزُ له أَنْ يَحْكُمَ وَلَا يفتى بِالِاسْتِحْسَانِ إذْ لم يَكُنْ الِاسْتِحْسَانُ وَاجِبًا وَلَا في وَاحِدٍ من هذه الْمَعَانِي فَإِنْ قال قَائِلٌ: فما يَدُلُّ على أَنْ لَا يَجُوزَ أَنْ يَسْتَحْسِنَ إذَا لم يَدْخُلْ الِاسْتِحْسَانُ في هذه الْمَعَانِي مع ما ذَكَرْت في كِتَابِك هذا قِيلَ قال اللَّهُ ﴿ ﷻأَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ فلم يَخْتَلِفْ أَهْلُ العلم العمل بِالْقُرْآنِ فِيمَا عَلِمْت أَنَّ السُّدَى الذي لَا يُؤْمَرُ وَلَا ينهي وَمَنْ أَفْتَى أو حَكَمَ بِمَا لم يُؤْمَرْ بِهِ فَقَدْ أَجَازَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ في مَعَانِي السُّدَى وقد أَعْلَمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ لم يَتْرُكْهُ سُدًى وَرَأَى أَنْ قال أَقُولُ بِمَا شِئْت وَادَّعَى ما نَزَلَ الْقُرْآنُ بِخِلَافِهِ في هذا وفي السُّنَنِ



فَخَالَفَ مِنْهَاجَ النَّبِيِّينَ وَعَوَامَّ حُكْمِ جَمَاعَةِ من رَوَى عنه من الْعَالِمِينَ فَإِنْ قال فَأَيْنَ ما ذَكَرْت من الْقُرْآنِ وَمِنْهَاجِ النَّبِيِّينَ صلى اللَّهُ عليهم وسلم أَجْمَعِينَ قِيلَ قال اللَّهُ ﷻلِنَبِيِّهِ عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿اتَّبِعْ ما أُوحِيَ إلَيْك من رَبِّك﴾ وقال ﴿وَأَنْ أُحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتْبَعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾الْآيَةَ ثُمَّ جَاءَهُ قَوْمٌ فَسَأَلُوهُ عن أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهِمْ فقال أُعْلِمُكُمْ غَدًا يعنى أَسْأَلُ جِبْرِيلَ ثُمَّ أُعْلِمُكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ﴿ ﷻوَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إنِّي فَاعِلٌ ذلك غَدًا إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾الْآيَةَ وَجَاءَتْهُ امْرَأَةُ أَوْسِ بن الصَّامِتِ تَشْكُو إلَيْهِ أَوْسًا فلم يُجِبْهَا حتى أَنْزَلَ اللَّهُ﴿ ﷻقد سمع اللَّهُ قَوْلَ التي تُجَادِلُك في زَوْجِهَا﴾ وَجَاءَهُ الْعَجْلَانِيُّ[32] يَقْذِفُ امْرَأَتَهُ قال لم يَنْزِلْ فِيكُمَا وَانْتَظَرَ الْوَحْيَ فلما نَزَلَ دَعَاهُمَا فَلَاعَنَ بَيْنَهُمَا كما أَمَرَهُ اللَّهُ ﷻوقال لِنَبِيِّهِ ﴿وأن أُحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وقال ﴿ ﷻيا دَاوُد إنَّا جَعَلْنَاك خَلِيفَةً في الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بين الناس بِالْحَقِّ ﴾الْآيَةَ وَلَيْس يُؤْمَرُ أَحَدٌ أَنْ يَحْكُمَ بِحَقٍّ إلَّا وقد عَلِمَ الْحَقَّ وَلَا يَكُونُ الْحَقُّ مَعْلُومًا إلَّا عن اللَّهِ نَصًّا أو دَلَالَةً من اللَّهِ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْحَقَّ في كِتَابِهِ ثُمَّ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَلَيْسَ تَنْزِلُ بِأَحَدٍ نَازِلَةٌ إلَّا وَالْكِتَابُ يَدُلُّ عليها نَصًّا أو جُمْلَةً".[33]والمتتبع للمنهج الوسط يجد أن الإمام الشافعي رحمه الله لم يخالف هذا المنهج بل سار عليه وحارب كل من خالف هذا المنهج ورماه بالبدعة؛ لأنه اتبع غير المنهج القويم الذي رسمه الله ﷻ لهذه الأمة كي تسير عليه ويستقيم حالها والنبيﷺ بين أن من اتبع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ لم يضل أبدا فقال ﷺ: "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني. [34]

ثانيا : مصادر التلقي عند الامام الشافعي : عرفت مصادر التلقي عند الامام الشافعي من مشهور كلامه ومنه (لا يقال لأصل لِم ؟ ولا كيف ؟ وانما يقال للفرع : لِم فاذا صح قياسه على الاصل صح وقامت به الحجة) [35]يتبين من ذلك انه رحمه الله قد ابرز الكتاب والسنة كمصدرين عظيمين وهو المقصود من كلامه (لا يقال لأصل ...) فلا يتقدم عليهما شئ البته فكان يقرر ان ليس لاحد التقدم بين يدي نصوص الكتاب والسنة , فالأصل عنده هو القران الكريم والسنة النبوية كما قال (والأصل القران والسنة فان لم يكن فقياس عليهما)[36] وقوله ايضا لما قال له رجل : تاخذ بالحديث ؟ فقال : اشهدوا اني اذا صح عندي الحديث عن رسول الله فلم اخذ به فان عقلي قد ذهب)[37] وقوله (اذا صح الحديث عن رسول الله فقلت قولا فانا ارجع عن قولي وقائل بذلك)[38] أي بقول النبي . ﷺوكان رحمه الله يمنع من التعرض للنصوص باي سبيل يفسد الاستدلال بها من ناحية المعاني فقال (والقران على ظاهره حتى تاتي دلاله منه او سنة او اجماع بانه على باطن دون ظاهر) . [39]هذا ما يتعلق بالقران والسنة , اما ما يتعلق بالصحابه الكرام فقد قال (هم فوقنا في كل علم وعقل وكل سبب ينال به علم او يدرك به هدى لنا خير من رأينا لانفسنا). [40]

المطلب الثالث منهج الامام الشافعي في اثبات العقيدة الوسط(اصول الدين)

اولا : الالهيات :

١- **توحيد الإلوهية:** توحيد الإلوهية هو من أهم أنواع التوحيد الذي فرق اللهﷻ به بين المؤمنين والكافرين فكثير من الناس يقع في الشرك ويقول أنا أؤمن أن الله ﷻ هو الرازق والمحيي والمميت ولا يعلم أن توحيد الإلوهية هو الذي يفرق بين الناس في عبادتهم وهو الذي أرسل الله الرسل من أجل أن يعلمه الناس وهو لو أردنا أن نعرفه لقلنا هو افراد اللهﷻ العبادة دون غيره ونأخذ هذا من حديث معاذ ؓ حين بَعَثَه رسول الله ﷺ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ[41] وهذا يدللنا على أن النبيﷺ علم أمته التوحيد ولذلك حين سئل المزني[42] عن علم الكلام والتوحيد " فقال: إني أكره هذا، بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي، لقد سمعت الشافعي يقول: سئل مالك عن الكلام والتوحيد، فقال: محال أن نظن بالنبيﷺأنه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبيﷺ:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله " ، فما عصم به الدم والمال حقيقة التوحيد." [43] ومعلوم أن الذي يعصم الدم والمال هو توحيد الإلوهية وليس توحيد الربوبية؛ لأن المشركين في عهد الرسولﷺ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وينكرون توحيد الإلوهية ولذلك قال اللهﷻ عنهم﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[العنكبوت:٦١]وهذا الذي كان يقره الإمام الشافعي رحمه الله ويعتقد به ويدافع عنه.

٢- **توحيد الربوبية:** يؤمن بتوحيد الربوبية جميع الناس إلا الملاحدة والشيوعيون فهم لا يقرون بالرب ﷻ ويستدلون على ربوبيته من خلقه؛ لأنه ﷻ قال:﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ* وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الذاريات: ٢٠، ٢١] ولو أردنا أن نعرف توحيد الربوبية لقلنا هو إفراد اللهﷻ بالخلق والأمر. وكل ما في هذا الكون يدل على وجوده ﷻ والإمام الشافعي رحمه الله كان يستدل حين يجادل خصمه على وجود الله ﷻ من آياته ومخلوقاته ومنها مناظرته لبشر المعتزلي[44] عند هارون الرشيد[45] "قال بشر: يا أمير المؤمنين دعني وإياه فقال له

هارون: شأنك وإياه فقال له بِشر : أخبرني ما الدليل على أن الله تعالى واحد فقال الشافعي يا بشر ما تدرك من لسان الخواص فأكلمك على لسانهم إلا أنه لا بد لي أن أجيبك على مقدارك من حيث أنت الدليل عليه به ومنه وإليه واختلاف الأصوات في المصوت إذا كان المحرك واحدا دليل على أنه واحد وعدم الضد في الكمال على الدوام دليل على أنه واحد وأربع نيرات مختلفات في جسد واحد متفقات على ترتيبه في استفاضة الهيكل دليل على أن الله تعالى واحد وأربع طبائع مختلفات في الخافقين أضداد غير أشكال مؤلفات على أصلاح الأحوال دليل على أن الله تعالى واحد وفي خلق السموات والأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون كل ذلك دليل على أن الله تعالى واحد لا شريك له". [46]وهذه المناظرة توضح لنا كيف كان الشافعي رحمه الله يستدل على توحيد الربوبية من خلال خلق اللهﷻكما كان السلف رحمهم الله يستدلون على وجوده.

٣- **توحيد الأسماء والصفات:** الصحابه وعلماء المسلمين كانوا يثبتون لله ﷻ ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله من غير تكيف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل والإمام الشافعي رحمه الله حين سأل عن الأسماء والمسميات بين أن الأسماء تختلف عن المسميات" يقول الشافعي: إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى، والشئ غير المشيء، فاشهد عليه بالزندقة".[47]وهذا يوضح أن الشافعي كان يثبت لله الأسماء التي سمى بها نفسه ولذلك كان يحكم على من حلف باسم من أسماء الله في اليمين ثم يحنث بأن عليه كفارة قال الشافعي : من حَلَفَ بِاَللَّهِ أو بِاسْمٍ من أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فَعَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ إذَا حَنِثَ وَمَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ غير اللَّهِ فَلَيْسَ بِحَالِفٍ وَلَا كَفَّارَةَ عليه إذَا حَنِثَ وَالْمُولِي من حَلَفَ بِاَلَّذِي يَلْزَمُهُ بِهِ كَفَّارَةٌ وَمَنْ أَوْجَبَ على نَفْسِهِ شيئا يَجِبُ عليه إذَا أَوْجَبَهُ فَأَوْجَبَهُ على نَفْسِهِ [48]أما في صفات الله ﷻ فهو أيضاً على منهج الوسط وصدر كتابه الرسالة في عقيدته فقال: "لا يبلغ الواصفون كنه عظمته الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه أحمده حمدا كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله".[49]وَثَبَتَ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ قَالَ : سَأَلْت الشَّافِعِيَّ – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى –عَنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ؟ فَقَالَ : " حَرَامٌ عَلَى الْعُقُولِ أَنْ تُمَثِّلَ اللَّهَ تَعَالَى ؛ وَعَلَى الْأَوْهَامِ أَنْ تَحُدَّهُ وَعَلَى الظُّنُونِ أَنْ تَقْطَعَ ؛ وَعَلَى النُّفُوسِ أَنْ تُفَكِّرَ ؛ وَعَلَى الضَّمَائِرِ أَنْ تُعَمِّقَ وَعَلَى الْخَوَاطِرِ أَنْ تُحِيطَ وَعَلَى الْعُقُولِ أَنْ تَعْقِلَ إلَّا مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ " عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. [50]وهذا يبين أن الشافعي رحمه الله يحرم تأويل صفات الله ﷻبل كان رحمه الله يثبت الصفة كما جاءت ومن أمثلة الصفات أكتفي بذكر مسألة الكلام للهﷻ ؛ لأنها هي التي وقع فيها الخلاف كثيراً بين الفرق وامتحن بها العلماء وعذب من أجلها الناس وقد حصلت مناظرة بين حفص الفرد والشافعي ونقلها الآجري بسنده قال حدثنا الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول وذكر القرآن وما يقول حفص الفرد ، وكان الشافعي يقول : حفص الفرد ، وناظره بحضرة والي كان بمصر فقال له الشافعي رضي الله عنه في المناظرة : كفرت والله الذي لا إله إلا هو ، ثم قاموا ، فانصرفوا ، فسمعت حفصاً يقول : أشاط والله الذي لا إله إلا هو الشافعي بدمي قال الربيع : وسمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال : مخلوق فهو كافر[51]

ثانيا : عقيدته في النبوات : أرسل الله الرسل للناس ليرشدوهم إلى الطريق المستقيم ويحذرونهم من الكفر ويدعوهم إلى عبادة الله وحده وكانت عبارات جميع الأنبياء والمرسلين لأقوامهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف: ٦٥] وجعل أولهم آدمﷺوخاتمهم هو محمد ﷺ واصطفاه الله ﷻ من ذرية إبراهيمﷺ وجعل دعوته للعالمين وقد بين الإمام الشافعي هذه بقوله : "خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ ثُمَّ أَبَانَ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ خِيرَتَهُ من خَلْقِهِ أَنْبِيَاؤُهُ فقال تَبَارَكَ اسْمُهُ ﴿ كان الناس أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ فَجَعَلَ النَّبِيِّينَ صلى اللَّهُ عليهم وسلم من أَصْفِيَائِهِ دُونَ عِبَادِهِ بِالْأَمَانَةِ على وَحْيِهِ وَالْقِيَامِ بِحُجَّتِهِ فِيهِمْ ثُمَّ ذَكَرَ من خَاصَّتِهِ صَفْوَتَهُ فقال﴿ ﷻ إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ على الْعَالَمِينَ﴾ فخصَّ آدم ونوحًا بإعادة ذكْر اصْطفائهما وذكرَ إبْراهيم فقال جَلَّ ثَنَاؤُهُ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ وذكر إسْماعيل بن إبْراهيم فقال عز ذِكْرُهُ﴿وَاذْكُرْ في الْكِتَابِ إسْمَاعِيلَ إنَّهُ كان صَادِقَ الْوَعْدِ وكان رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ثم أَنْعم اللَّه عز وجل على آلِ إبْرَاهِيمَ وَعِمْرَانَ في الْأُمَمِ فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى﴿ إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ على الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا من بَعْضٍ وَاَللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم ﴾ قال الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ اصْطَفَى اللَّهُﷻسَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ من خَيْرِ آلِ إبْرَاهِيمَ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ قبل إنْزَالِهِ الْفُرْقَانَ على مُحَمَّدٍﷺبِصِفَةِ فَضِيلَتِهِ وَفَضِيلَةِ من اتَّبَعَهُ بِهِ فقال ﴿ ﷻمُحَمَّدٌ رسول اللَّهِ وَالَّذِينَ معه أَشِدَّاءُ على الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ الْآيَةُ وقال لِأُمَّتِهِ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فَفَضِيلَتُهُمْ بِكَيْنُونَتِهِمْ من أُمَّتِهِ دُونَ أُمَمِ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ أَخْبَرَ ﷻأَنَّهُ جَعَلَهُ فَاتِحَ رَحْمَتِهِ عِنْدَ فَتْرَةِ رُسُلِهِ فقال ﴿يا أَهْلَ الْكِتَابِ قد جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ على فَتْرَةٍ من الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جَاءَنَا من بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾وقال ﴿ هو الذي بَعَثَ في الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا منهم يَتْلُو عليهم آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾وكان في ذلك ما دَلَّ على أَنَّهُ بَعَثَ إلَى خَلْقِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ أو أُمِّيِّينَ وَأَنَّهُ فَتَحَ بِهِ رَحْمَتَهُ وَخَتَمَ بِهِ نُبُوَّتَهُ فقال ﴿ ﷻما كان مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ من رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ

النَّبِيِّينَ ﴾ وَقَضَى أَنْ أَظْهَرَ دِينَهُ على الْأَدْيَانِ فقال﴿ ﷻهو الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (52)﴾ . هذا موجز عقيدته في النبوة من خلال كتابه الامام .

ثالثا : عقيدته في الإيمان باليوم الآخر: يقول الشافعي رحمه الله:" وإن عذاب القبر حق ومسألة أهل القبور حق والبعث والحساب والجنة والنار وغير ذلك مما جاءت به السنن وظهرت على ألسنة العلماء وأتباعهم من بلاد المسلمين."[53] وكان رحمه الله دائماً يُسْتَحَبُّ في صلاة الجنازة في الدُّعَاءِ أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ عَبْدُك وبن عَبْدِك خَرَجَ من رَوْحِ الدُّنْيَا وَسَعَتِهَا وَمَحْبُوبِهِ وأحبائه فيها إلَى ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وما هو لَاقِيهِ كان يَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا أنت وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُك وَرَسُولُك وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ اللَّهُمَّ نَزَلَ بِك وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْزُولٍ بِهِ وَأَصْبَحَ فَقِيرًا إلَى رَحْمَتِك وَأَنْتَ غنى عن عَذَابِهِ وقد جِئْنَاك رَاغِبِينَ إلَيْك شُفَعَاءَ له اللَّهُمَّ فَإِنْ كان مُحْسِنًا فَزِدْ في إحْسَانِهِ وَإِنْ كان مُسِيئًا فَتَجَاوَزْ عنه وَبَلِّغْهُ بِرَحْمَتِك رِضَاك وَقِه فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَهُ وَافْسَحْ له في قَبْرِهِ وَجَافِ الْأَرْضَ عن جَنْبَيْهِ وَلَقِّهِ بِرَحْمَتِك الْأَمْنَ من عَذَابِك حتى تَبْعَثَهُ إلَى جَنَّتِك يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ[54]وهو رحمه الله في هذا موافق لمعتقد أهل السنة والجماعة ،أما البعث والحساب فأهل السنة أيضاً مؤمنون به ومثبتون له؛ لأنه من الإيمان بالغيب والله وصف المؤمنين بأنهم يؤمنون بالغيب فقال:﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] ومن الأمور التي تكون يوم القيامة ونحن نؤمن بها البعث والحساب والميزان والصراط والحوض والعرض ووجود الجنة ووجود النار والشافعي رحمه الله يؤمن بهاذا كما جاء عنه ،قال الشافعي: "والبعث حق والحساب حق والجنة والنار وغير ذلك مما جاءت به السنن فظهرت على ألسنة العلماء وأتباعهم من بلاد المسلمين حق." , [55]وهذا يبن لنا أن الشافعي رحمه الله كان متبعاً لمنهج اوسط منهج الصحابه الكرام ولم يشذ عن عقيدتهم ومنهجهم رحمه الله.

رابعا : عقيدته في القضاء والقدر : يعد الايمان بالقضاء والقدر ركن من اركان الايمان وهو امرا مهم بالنسبه لكل مسلم لأنه الركن السادس من أركان الإيمان والمؤمن يجب عليه الإيمان بهذه الأركان. ومعنى الإيمان بالقدر هو أن يؤمن الإنسان أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ لأن الله ﷻ قدر الآجال والأرزاق والأعمال؛ لأن النبيﷺ بين أن هذه الأمور تكتب للإنسان وهو في بطن أمه كما قال الصادق المصدوقﷺ:"إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ".[56]قال الشَّافِعِيُّ رحمه الله : قال اللَّهُ﴿ ﷻوما تشاءون إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾فَأَعْلَمَ خَلْقَهُ أَنَّ الْمَشِيئَةَ له دُونَ خَلْقِهِ وَأَنَّ مَشِيئَتَهُمْ لَا تَكُونُ إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [57]ﷻ , وكان له موقف من علماء القدر المخالفين للسلف وحين سئل عن القدري من هو فأجاب بما رواه عنه المزني قال قال الشافعي : تدري من القدري ؟ الذي يقول : إن الله لم يخلق الشيء حتى عمل به . ويقصد أن الإنسان يخلق أفعاله ..[58] وعرفهم أيضاً بقوله:"هم الذين يقولون أن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون"[59] وكان رحمه الله يكره الصلاة خلفهم كما روى ذلك البيهقي عن الربيع أن الشافعي رحمه كان يكره الصلاة خلف القدري[60]

الخاتمة :

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فقد أبرزت هذه الدراسة أحد أئمة المسلمين ، وعرّفت به ، وأبرز معالم منهجه في اثبات العقيدة الصحيحة المعتدلة ، وهو الامام محمد بن اسماعيل الشافعي . وكانت أبرز المسائل والنتائج التي تضمنها هذا البحث ما يأتي:

١- التزام الشافعي رحمه الله بمنهج الدليل في كل ما ثبت عنه في مسائل الاعتقاد.

٢- تثبت عنده العقيدة بآية من كتاب الله أو بحديث عن رسول الله. ﷺ

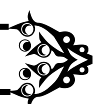
٣- كره الأساليب الكلامية،ورد على أربابها ناصحاً إياهم بتركها وعدم الأخذ بها في جوانب التوحيد والإيمان.

٤- بالإمكان القطع أن العقيدة التي تكلم بها الإمام الشافعي أو نقلها عنه أصحابه تطمئن إليها القلوب والعقول ولا تختلف معها.

٥- ثبت وبدون شك أن للشافعي مذهباً عقدياً مؤسساً على أدلة متينة بالإمكان أن ينسب إليه فقال:شافعي العقيدة كما شاع بالنسبة لمذهبه الفقهي فيقال شافعي الفقه.

٦- وبالاستقراء تبين أن الإمام الشافعي يسلك مسلك أصحاب النبيﷺ في القول والعمل ويترسم خطأهم وينأى عن مخالفتهم ما قدر على ذلك.

الهوامش



1) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة ص:٦٦،وينظر الثقات، ٩/ ٣٠.
2) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة: " ١: ٤٩٧.
3) الثقات لابن حبان ٩/ ٣٠.
4) تهذيب التهذيب، تأليف: ٩/ ٢٦.
5) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : ٦٦
6) حلية الأولياء وطبقات ألأصفياء ٩/ ٦٧
7) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٦.
8) توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس: ص٥٤
9) ينظر مناقب الشافعي للبيهقي١/٩٦.
10) ينظر : الاعلام , خير الدين الركلي , دار العلم للملايين . ط ٥ . ٢٠٠٢ , ٧/ ٢٤٨ .
11) المصدر نفسه ١/٩٧.
12) المناقب للبيهقي ١/٢٤٧
13) الاعلام : ١/١٣٠
14) تاريخ دمشق ٥١/ ٣٠٢
15)بو الحسن عبد الملك بن عبد الحميد بن شيخ الجزيرة ميمون بن مهران , تلميذ الامام احمد ومن كبار الائمة , ينظر : سير اعلام النبلاء . 89 / 13
16) تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٧٢
17) تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٧٢
18) تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٦٥
19) تاريخ بغداد ٢/ ٦٧
20) مسلم بن خالد المخزومي الزنجي الامام فقيه مكة ولد ,١٠٠ه لقب بالزنجي لاكله التمر بكثره , ينظر , سير اعلام النبلاء : ٨/ ١٧٧
21) داود عبد الرحمن العطار العبدي المكي , التقي الفقيه من اهل مكة , ينظر تهذيب التهذيب , ٣/١٦٦ .
22) سير اعلام النبلاء , ٨/ ٤٥٤ .
23)جعفر الصادق بن محمد الباقر العلوي ين زين العابدين بن علي بن الحسين , ت ٢٠٣ه كان يلقب بالديباج لجماله وحسنه كان سيدا عاقلا شجاعا , ينظر سير اعلام النبلاء. 105 / 10 ,
24) ينظر تقريب التهذيب , احمد بن علي بن حجر العسقلاني, حقيق مصطفى عبد القادر عطا ,دار الكتب العلمية بيروت , ٢٤٥-٢٥٥.
25) ينظر تقريب التهذيب, ٥١٦.
26) ينظر المصدر السابق , ٤٦٨.
27) ينظر سير اعلام النبلاء, ١٠/ ١١ .
28) المصدر نفسه .
29) رواه مسلم , المسند الصحيح المختصر, ٦ / ٢٧٧٣ .
30) هو سفيان الثوري , ينظر الجرح والتعديل , عبد الرحمن بن محمد الرازي بن هاشم , دار احياء التراث العربي , ١/ ٩١ .
31) تفسير القران العظيم , محمد بن اسماعيل بن عمر بن كثير , مؤسسة الرسالة , ٤/ ٧٢٩.
32) ينظر : اسد الغابة في معرفة الصحابة , ٤/ ٣٠٤ .
33) الأم , محمد بن ادريس الشافعي القريشي ابو عبد الله , تحقيق : رفعت فوزي عبد المطلب دار الوفاء ٢٠٠١ , ٧/ ٢٩٨ .
34) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج باب حجة النبي حديث رقم١٢١٨ ج٢/ ٨٨٦]
35) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء , أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني , دار الكتاب العربي – بيروت , ط٤ , ٩ / ١٠٥ .

36) المصدر نفسه .

37) المصدر نفسه .

38) المصدر نفسه .

39) الرساله , ٥٨٠ .

40) المصدر السابق , ٣٢٤ .

41) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة(٢/ ١٠٤)ح رقم ١٣٩٥

42) ينظر الاعلام , ١/٣٢٩.

43) احاديث في ذم الكلام وهله , ابو الفضل عبد الرحمن الرازي , دار اطلس,ط١٩٩٦,١, تحقيق : د.ناصر عبد الرحمن الجديع , ٩٢.

44) بشر بن غياث بن ابي كريمة العدوي , المناظر من موالي أل زيد بن الخطاب , كان من كبار الفقهاء لكنه نظر في الكلام فغلب عليه ودعا اليه , ينظر : سير اعلام النبلاء, ١٠ / ٢٠٠ .

45) امير المؤمنين ابن المهدي محمد بن المنصور ابي جعفر , كان من احسن الناس سيرة واكثرهم غزوا وحجا بنفسه , ينظر : البداية والنهاية , تبو الفداء اسماعيل بن كثير , دار الهجرة , ط١ , ١٩٩٧, ١٤ / ٣٠ .

46) حلية الأولياء ٩/ ٨٣]

47) [سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠]

48() [الأم ٥/ ٢٩٩]

49)[الرسالة : ٨]

50) [مجموع الفتاوى ٤/ ٦]

51) الشريعة ص٦٨.

52) [الأم ٤/ ١٥٩]

53)الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، ص:٢٢٦]

54) [الأم ١/ ٢٨٣]

55) مناقب الشافعي للبيهقي ج١/٤١٥

56) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٤/ ١١١ رقم٣٢٠٨

57) [الأم ١/ ٢٠٢]

58) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٢/٨٠١،

59) مناقب الشافعي للبيهقي ج١/ص٤١٣.

60) المصدر نفسه .